حكاية شاب

لأبي جعفر محمد بن يوسف أهلي

حكاية شاب

دعني.. اترك يدي.. لا تؤذني..!!

قلت: إلى أين تريدين الذهاب في هذا الجو الماطر؟!

قالت: أريد الذهاب إلى بيت أبي..

قلت: إلى متى وأنت تخرجين من البيت دون إذني؟!

قالت: قلت لك اتركني...

انتظر.. انتظر.. لا تقفل الباب... أعطني المفتاح..

قلت: لا لن أعطيك حتى تسمعيني وتجلسي معي...

قالت: ماذا تريد مني؟! لقد وعدت أمي أن أذهب إليها فأجلس معها..

قلت: تعالي نجلس في الغرفة...

(نَظَرَتْ إليّ.. نزعت حجابها.. قالت: حسن هات ما عندك..

جَلَسْتُ كاظمًا غيظي.. أتنفس بصعوبة.. حشرج صدري..

أَخَذْتُ نَهْدة عظيمة حتى خَشِيَتْ هي على نفسها...)

قلت: الأمر خطير.. والخَطْبُ جسيم.. والموضوع يستحق الجلوس والإنصات..

قالت: نعم.. ولِـــمَ كل هذا التهويل؟!

قلت: لقد مضى على زواجنا ما يقارب الخمس سنين، وأنا أراقب سير حياتنا الزوجية.. أصبر وأنتظر علّ الفرصة التي أريدها تأتي.. أو علّ التغيير يأتي.. لكن ...إلى متى الصبر.. إلى متى المجاملة.. إلى متى السكوت..؟!

فقلت لابد من توقيف هذا التعدي، وهذا التجاوز، وهذه المخالفة قبل فوات الأوان..

قالت: ....؟؟!! ماذا هناك؟!

قلت: هه... أمور كثيرة .. وأهوال عظيمة ..

قالت وهي متبسمة:... وهل قامت القيامة؟!

نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً أَرْعَبَتْها... قلت اسمعيني جيدًا...

كلامي سيكون عن أمور لاحظتها في حياتنا الزوجية.. ومخالفات ظننت أنها ستتوقف وإذا بها تزداد يومًا بعد يوم..

سأذكرها مبعثرة لأنها تناثرت في ذهني فلا أدري بأيها أبدأ..

فأقول: نعم.. إن النفوس جُبِلت على حب وود من يحسن إليها..

ومجبولة على حب من يحترمها ويقدرها وينزلها مكانتها.. ولا يعرف لأهل الفضل فضلهم إلا ذووه..

قالت: هذا الكلام أوجهه لك.. فأنت عندما تكون مع صحبك أراك تبتسم وتهش وتبش معهم ولا يفتر لسانك عن ذكرهم ومدحهم.. وإذا اتصل بك أحدهم وكنتَ في ضيق سُرِّي عنك.. ولا أجد هذا في البيت عندي..؟!

قلت: نعم.. أنا أقر بهذا.. ولكن .. أتدرين لماذا؟

قالت: لماذا؟

قلت: لأنهم يحسنون إلي أيما إحسان، ويتوددون إلي ويرفعون منزلتي ويقدرونى ويحترموني، فطبيعي جدًا أن أميل إليهم وأعاملهم بذات المعاملة ولربما أكثر..

قالت: وهل تَراني مقصرة ومضيعة لحقوقك وحقوق أولادنا؟

قلت: لا.. لا أعني ذاك.. وإنما أعني مسألة القوامة..

قالت: القوامة؟!

قلت: نعم، فالله عز وجل قال: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾النساء: ٣٤ وأنى أرى ما يدور في هذا البيت خلاف هذه الآية، وكأنك الآمرة الناهية.. ما تريدينه يحصل.. وكأنني خادم عندك..

تحاسبينني في كل شيء.. إذا ما تأخرت يومًا عاتبتيني وأحسستيني بأني طفل توبخه أمه..

إذا ما خرجت في نزهة مع صحبي سرعان ما تتكالب علي الاتصالات: أين أنت؟ ماذا تفعل؟ ماذا حصل؟ وكأنني في مجلس تحقيق أمني!

لا أحس براحة أبدًا.. ولكأني زمبركًا مضغوطًا لا يكاد يجد مُتَنَفَّسًا..

وإذا كنتُ في البيت تحرصين أشد الحرص على إظهار إبداعاتك، وتشيرين إلي – من حيث تشعرين أو لا تشعرين– أنني لا قيمة لي، ولا أصلح أن أكون مبدعًا..

الذي تفعلينه هو الصواب، والذي أفعله فيه نظر..

وكأنك تزدرين ما أصنعه..!!

لِـــمَ هذا العجب بالنفس؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يذكره من المهلكات..!

أين التواضع؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **[مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ اللَّهُ]**[1]..!

أين التنازل وأين الذل؟ والله عز وجل يقول: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨** ﴾ الحجر: ٨٨

ويقول: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ المائدة: ٥٤

كيف تظهرين قوتك وتبارزيني وكأننا أعداء..!؟

لا تنتظري مني حبًا وتقديرًا واحترامًا وأنت معي هكذا.. وكأن زمام الأمور بيدك..

نعم، ربما أكون أنا ضعيفًا وذلك بسبب طيب قلبي وعلو خلقي.. فهما يمنعاني من الإساءة إليك أو إحراجك..

أتظنين أنني لا أستطيع إجبارك على ما أريد.. أتظنين أنني أخاف منك.. أتظنين أنك تغلبينني..؟!

هيهات يا ابنة عمي هيهات.. والله ما حملني على الصمت والكتمان والصبر إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم : **[خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ]**[2]، وأنا في هذه أريد أن أكون خير الناس..

قالت: هوّن عليك.. هون عليك.. ما بك انفجرت كالبركان الحميم ولا صادّ لك.. ماذا فعلتُ بك حتى أوصلتُكَ هذه المرحلة؟!

قلت: هذه نهاية كل أمر يفيض عن حده.. فلقد كتمت ذلك كثيرًا وصبرت وقلت علّها تصطلح.. علها تهتدي.. علها تفهم..

وما في القلب أعظم من هذا..

---

[1] صحيح الجامع الصغير ٦١٦٢ صححه الألباني.

[2] رواه الترمذي وصححه الألباني.

قالت: قل لي أرجوك.. لعلي كنت مغفلة.. لعلي لم أتنبه.. لعلي تجاوزت الحدود..!

قلت: أي حدود بقيت بعد هذه..؟! قد تكسرت السدود وتجاوزت الحدود..

قالت: قل لي ما في قلبك الكبير..

قلت: لا لا .. لا داعي للذكر.. انسي ما قلته..

قالت: لا ، لن أدعك حتى تُعرب عما في قلبك وتصفي ما في صدرك..

(نَظَرْتُ إليها نظرة إشفاق وقلت في نفسي: استعن بالله والله والموفق...)

حسنًا.. (اعْتَدَلَتْ في جَلستِها وأَنْزَلَتْ رجليها وانْتَبَهَتْ انتباه الشارد)

فقلت: ما أجمل المرأة بحيائها.. بدلالها.. بتواضعها.. بذلها لزوجها.. ما أجمل المرأة إذا اهتمت هي بجوهرها..

إني أراك عندما تتزينين لي كالعجوز وهي التي مهما تزينت تبقى عجوزًا لا يرغب فيها أحد لأنها... عجوز...

(رَفَعَتْ حاجبها مندهشة مما أقول..)

وهكذا عندما أُفْتَن بك وأميل إليك سرعان ما أتذكر تعاملك معي.. وتعاليك علي.. وتسلطك أحيانًا في البيت.. فأجدني أنفر منك..

نعم ربما لا أظهر ذلك فإني أجد مجاهدة شديدة في ذلك.. حتى لا أحزنك..

ولكن لا بد من تزيين الجوهر.. وتنقيته من الشوائب.. وتخليصه من الكوادر..

جُبلت المرأة على الحياء.. فانظري كيف كان يوصَفُ النبي صلى الله عليه وسلم في الحياء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العَذْراءِ في خِدْرِها][1]، فالأصل في المرأة أنها حَيِيَّة.. ويزول حياؤها في بيتها عند زوجها فقط.. أما أن تمتد الجرأة حتى تصل خارج البيت فتكلمين الرجال بوجودي وعند غيابي، بحاجة ملحة وغير ملحة.. فهذا مما يخدش حياء المرأة ويُضعف رغبتها في زوجها..

كيف لا وقد استمع رجل أجنبي إلى صوتك العذب..؟!

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

قالت: ولكنني لا أكلم الرجال!

قلت: بل تكلمينهم.. فإذا ذهبنا إلى السوق ألا تكلمين التاجر؟!

وإذا ذهبنا إلى المستشفى ألا تكلمين الطبيب؟!

وإذا ذهبنا إلى المطعم ألا تكلمين العامل؟!

قالت: ....نعم....

قلت: إذًا فهذه تكليمتهم..!

قالت: ولكن هنا حاجة..!

قلت: إذا كنت أنا زوجك أفتن بصوتك فما بال الأجنبي..؟!

والنبي صلى الله عليه وسلم قد قرر ذلك وجمعها في كلمة واحدة عن المرأة فقال: **[الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ]**[1].

قالت: ولكني لا أَخْضَعُ بالقول، وأقول قولاً معروفًا..!!

قلت: نعم أعرف ذلك.. ولكن المرأة تبقى مرأة...

قالت: طيب.. وماذا بعد..؟!

قلت: أذاع النبي صلى الله عليه وسلم قوله: **[خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ]**[2] حتى يزرع روح المنافسة بين الرجال..

وأما في جانب النساء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي النساء خير؟ قال: **[الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلاَ تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ]**[3] فالنبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن خير النساء هذه صفاتها..

إذا نظرتُ إليها سرتني.. سرتني في ابتسامتها.. في هندامها.. في رحابة صدرها.. في تواضعها.. في دلالها.. في حبها.. في ذلها لزوجها..

---

[1] رواه ابن خزيمة والطبراني بإسناد صحيح.

[2] سبق تخريجه.

[3] رواه النسائي وصححه الألباني.

إذا أمرها أطاعتني.. فلا تعصي أمري .. ولا تجادلني.. ولا تناقشني.. ولا تكثر علي .. ولا تخالفني فيما أكره في نفسها ومالي..

فشمّري ساعد الجِدّ لنيل ثمرة السَّعْد.. فتكونين خير النساء..

قالت: كلام جميل، ورصين، وجديد بالنسبة لي.. لِـــمَ لم تذكر لي هذا الحديث طوال هذه السنوات..؟!

وأنا كذلك أشتكي جفوتك وغيابك الذهني عني..

قلت: نعم.. أنا لا أنكر هذا الأمر .. وهذا أمر طبيعي.. لأنه لا توجد جواذب تجذبني إليك.. لاحظي كيف أطيل السمر والحديث مع أُصَيْحابي وأستأنس بهم.. فإن العلاقة القلبية الداخلية التي بيننا جذبت العلاقة الظاهرية فتجديني لا أملهم أبدًا..

ولفقدان الجاذبية الداخلية – إن صح التعبير – تجاهك فقدت الجاذبية الخارجية، لم لا تعاملينني كرجل؟! لست طفلاً عندك أو خادمًا أعمل لك.. فالرجل بطبعه قيادي.. يأمر وينهى.. ويدير أمور البيت والأسرة.. له القرار.. وعنده الاستقرار..

فإذا وجد الرجل من نفسه هذه الشخصية وهذا الاهتمام أنّى له أن لا ينجذب إلى زوجه؟!

قالت: لماذا؟!

قلت: لأنه بذلك عرف أن هناك من يحتاج إليه، ويريده، ويأوي إليه، ويحس بنقص في غيابه.. فيبذل قصارى جهده في حفظ واحتواء وإرضاء هذه الأسرة التي لا تستغني عنه في دقائق الأمور فضلاً عن كبيراتها..

قالت: يا له من يوم طويل..!!

قلت: ما بك؟! أضجرت من الحديث..؟!

قالت: لا والله، ولكنني مصدومة مما أسمع منك.. أخشى أن تكون هناك أمور أعظم..

قلت: نعم..

قالت وهي منفعلة متعجبة: اللهم استر.. ماذا بعد؟!

قلت: الرجل بطبعه عزيز النفس.. لا يحب أن يُنْزِلَ مقامه أو يذل نفسه أمام أحد..

ففي بعض الأحايين أريدك ولكن أراك مشغولة إما بالطبخ وإما بترتيب البيت وإما بأمور الدعوة..

فأُعَرِّضُ لك أن هلمّي.. وأُشير إليك أن تعالي.. وأحيانًا أصرح لك.. فأجد فيك التكاسل والإباء أحيانًا.. وأنت تعلمين جيدًا أنه ما قام عقد نكاحنا إلا بذاك...

فلا أدري هل تفهمين تلك المعاريض والتلميحات فتتغافلين أم أنك فعلاً عنها غافلة..؟!

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **[إِذَا الرجل دعا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِه، وإنْ كانَتْ عَلَى التَّنُّورِ]**[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: **[الْمَرْأَةُ لا تُؤَدِّي حَقَّ الله عَلَيْهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سألَها وَهِيَ عَلى ظَهْرِ قَتَبٍ[2] لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا]**[3].

وقال صلوات ربي وسلامه عليه: **[وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا]**[4]. أي: حتى يرضى عنها زوجها.

وأحيانًا يكون هناك خلاف بيني وبينك، وإن كنت أنا المخطئ، فإذا بك تهجريني وتُعرضين عني.. وأنا أريدك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **[إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ]**[5].

(فسكتت و لم ترد، واحمر وجهها.. وخفضت رأسها فلم تنطق ببنت شَفَة..)

قالت باستحياء وخوف: أنا آسفة زوجي.. أرجو أن تسامحني.. أسأل الله أن يعفو عني..

قلت: لا عليكِ.. لم أَبِتْ يومًا وأنا غاضب عليك، وإني كنت في صراع دائم..

---

[1] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

[2] القَتَب: هو إكاف البعير، وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدْر سَنام البعير: وفي الصحاح: رَحْلٌ صغير على قدْر السَّنام، ومعناه: الحثُّ لهن على مطاوعة أزواجهن، وأنهن لا يسعهن الامتناع في هذه الحال، فكيف في غيرها.

[3] صحيح الترغيب والترهيب رقم ١٩٤٣ صححه الألباني.

[4] رواه البخاري ومسلم.

[5] رواه مسلم.

اعلمي زوجتي الفاضلة أن أعظم ما تتنازل به المرأة هي شخصيتها القوية.. نعم كوني قوية في دينك، قوية في دعوتك، قوية في نصحك، قوية في طاعتك لزوجك، قوية في خدمة بيتك.. لكن لا تكوني قوية على زوجك فَتَضْعُفين في عينه فَتَهونِين عليه.. لأن القوة في هذا الموضع هي اقتناص لشخصية الزوج وهذا مردود شرعًا وعقلاً..

قالت: كيف ذاك؟!

قلت: تأملي قول النبي صلى الله عليه وسلم: **[والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ]**[1]، والمسؤول يكون فوق الرعية، معنى ذلك أن من تحته أدنى منه في السلطة ويندرجون تحته في الإمرة، ومَنْ تحته غير الزوجة والأولاد؟! فهذا نص في أن زمام الأمور لابد أن يكون بيد الزوج..

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[لن يُفلِحَ قومٌ ولوا أمرَهُم امرأة]**[2] فأي فلاح ننتظر إذا تولت الزوجة على زوجها... والواقع يشهد بذلك..

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢ ﴾النساء: ٣٢

فهذه الآية فيها دلالة واضحة على أن كل جنس قد اختص بصفات ووظائف معينة في هذه الدنيا مع العبادة لله وحده...

فلا تقتحم المرأة وظيفة الرجل ولا الرجل وظيفة المرأة...

والقوامة من خصائص الرجل؛ فلذلك أردف الله هذه الآية بعدها بآية فقال: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾النساء: ٣٤

قالت: إذًا ما هي وظيفة المرأة؟ لم خُلقت؟ لم تزوجت؟ لم كانت أمًّا..؟!

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] رواه البخاري.

قلت: نعم، بادئ ذي بدء هي خلقت لعبادة الله وحده لا شريك له.. وطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه..

والذي يوضح هذا الأمر أولاً قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

وثانيًا: قول النبي صلى الله عليه وسلم: **[إِذَا صَلَّت المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا. قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ]**[1].

فالله عز وجل قد حصر وظيفة المرأة في هذه الحياة الدنيا بطاعتها لربها وتأدية فرضها مع طاعة الزوج.. فالمرأة المتزوجة لا هم ولا شغل ولا عمل لها إلا خدمة زوجها بطاعته فهي مأمورة بهذا الأمر.. لا ما يتشاغل به كثير من الزوجات اليوم، فَهَمُّهُنَّ الأسمى كيف يُرضون الناس والصُّحَيْبات ويهتمون بكلام فلانة وعلانة وكأن الأمر منصب على رضاهن وطاعتهن لا رضا الزوج وطاعته..!

(فَبَصُرَتْ بي عن جُنُبٍ وَ كأني لا أشعر...)

قلت: **[أتت عمة حصين بن محصن رضي الله عنه النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهَا: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ»؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ»؟ قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ، فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»]**[2].

وقال في حديث أنس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[لاَ يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِعظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ قَرْحَةٌ تَنْبَجِسُ[3] بِالقَيْحِ وَالصَّدِيدِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ]**.[4]

[1] صحيح الترغيب والترهيب رقم ١٩٣٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه: ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: حسن لغيره.

[2] قال المنذري: رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

[3] أي: تتفجر وتنبع.

[4] قال المنذري: رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون، وصححه الألباني.

وفي رواية أخرى قال: **[حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ لَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا، أَوْ انْتَثَرَ مِنْخَرَاهُ صَدِيداً أَوْ دَماً ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ]**.[1]

حديث يحتاج إلى وقفة.. إلى تأمل.. إلى تدبر...

كم هو حق الزوج عظيم .. كبير.. جليل.. ولكن أكثر النساء لا يعلمن..

زوجتي الغالية.. أنا لا أطلب منك أن تفعلي كل هذا.. فقط أريد الطاعة في المعروف.. فأنت كلمّا أمرتك بأمر تناقشيني وتجادليني وتحاوريني..

قالت: كانت عائشة رضي الله عنها تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم..!

قلت: صحيح.. ولكن في ماذا كانت تراجعه؟ انظري فيما كانت مراجعتها له فثَمَّ راجعيني.. وليس بالضرورة أن نفتح سجل نقاشات لأي طلب أطلبه أو آمره.. فثمة أمور لا يراها غير الزوج، فهو أعلم بأمور المعيشة والحياة الزوجية.. ولا داعي لذكرها..

قالت: والله ما ظننت أن قلبك مملوء بهذا الكلام.. لَهُو أمر يحزن القلب..

قلت: وهناك أمر آخر يشغلني كثيرًا ويهمني..!

قالت: وما هو؟!

قلت: بسبب كثرة حبي لك أخشى أن تغضبيني يومًا.. وقد فعلت..!

قالت: ؟؟؟؟!!!!! وضح أكثر.. لم أفهم؟!

قلت: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **[لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا]**.[2]

(جَحَظَتْ بعينها وظلت مندهشة من هذا الحديث..!)

قالت: هل هذا حديث صحيح؟!

قلت: نعم.

قالت: واثُكْلَ أُمَّياه.. كم مرة أغضبتك؟!

---

[1] قال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد، رواته ثقات مشهورون، وابن حبان، وصححه الألباني.

[2] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه وصححه الألباني.

قلت: لا عليك.. فوالله ما أردت أن تقول حور العين لك ذلك.. ولكن سبحان الله هذه هي آفة المعصية.. فالزوجة مأمورة بطاعة زوجها؛ فإذا أغضبته أغضبت الله وجعلت زوجته من الحور العين تغضب بغضب زوجها، وكأنها تقول: إن لم تريدي زوجك فنحن سنأخذه منك ونستأثر به..

وأنت تعلمين أن المرأة إذا دخلت الجنة كانت سيدة الحور العين في الجنة..

(سَكَتُّ هُنَيْهَة وخفضت رأسي..)

قالت: ما بك؟ ماذا حصل؟! لِمَ سَكتَّ..؟!

قلت: تذكرت الآيات في نهاية سورة التحريم..

قالت: وما هي؟!

قلت: قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم: ١٠ – ١٢

أتدرين فيمن نزلت هذه الآيات وماذا تعني؟!

قالت: لا..!

قلت: مَثَلٌ ضربه الله يحذّر به عائشة وحَفْصة رضي الله عنهما في المخالفة حين تظاهرتا[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم ضرب لهما مَثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنت عمران؛ ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدِّين.[1]

---

[1] المراد بالتظاهر: التعاضد والتعاون، والمعنى: وإن تعاضدا وتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره.

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، تُخْبِرُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً، قَالَتْ: فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: «بَلْ

وهذا التنبيه لأمهات المؤمنين: لعائشة رضي الله عنها حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما، فما ظنك بمن دونهن..

(نَظَرتُ إلى الساعة فإذا هي تشير إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً..)

قالت: قد فهمت من هذا الكلام الطويل أنه يجب علي السمع والطاعة في المعروف..

قلت: نعم، أحسنت!!

قالت: وماذا لي؟!

قلت: اسمعي مرة أخرى لحديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم: **[إِذَا صَلَّت المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ]**.[2]

يا لها من مكانة لا يُلَقّاها إلا هذه المرأة.. تأملي معي قول النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من أسرار.. قال: **[مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ]**..

أولاً: الجنة لها ثمانية أبواب.. باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب الريان وغيرها من الأبواب وأنت تُخَيَّرين من أي الأبواب تدخلين.. معنى ذلك أنك تنـــزلين مترلتهم.. فإذا اخترت باب الصلاة ودخلت منه فإنك تترلين مترلة المصلين، وإن دخلت من باب الجهاد فإنك تترلين مترلة المجاهدين، وإن دخلت من باب الريان فإنك من الصوامات فإذا دخلتي منه مع الصائمين ودخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد[3]..وهكذا..

يا لها من فضيلة ما أعظمها.. تختارين الفضل الذي تريدينه وتتمنينه، فأنت مصلية وإن اقتصرت على الفرائض فقط، ومجاهدة وإن لم تجاهدي، ومتصدقة وإن لم تُخرجي غير الزكاة،

شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَ: {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} (٦٦التحريم الآية: ١) إِلَى قَوْلِهِ: {إِنْ تَتُوبَا} (لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ) (٦٦التحريم الآية: ٤).

[1] تفسير القرطبي ١٨ / ٢٠٢ رواه مسلم.

[2] صحيح الترغيب والترهيب رقم ١٩٣٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه: ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: حسن لغيره.

[3] رواه البخاري ومسلم.

وأنت صوّامة وإن لم تصومي غير شهرك.. فهنيئًا مريئًا لك هذا الدخول وهذه المكانة وهذه الفضيلة..

فرِحَتْ بهذه البشرى وعلا السرور وجهها.. ودمعت عيناها.. قالت: الحمد لله.. ما أعظم هذه النعمة..!

قلت: وعندي أمر أنهي به حديثي.. لا تكاد تسلم منه امرأة إلا من رحم الله..

قالت: نعم زوجي الكريم.. تفضل.. قل ما عندك، لا تبقِ شيئًا.. أرجوك..

قلت: عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: **[أُريتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ يَكْفُرْنَ. قيل: أيَكفُرنَ بالله؟ قال: يَكْفُرْنَ العَشيرَ ، ويَكْفُرْنَ الإحْسانَ، لَوْ أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثمَّ رأتْ منكَ شَيئاً، قالتْ: ما رأيتُ منكَ خَيْراً قَطُّ]**.[1]

ويفسره حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى امْرَأَةٍ لاَ تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ]**.[2]

فما أهنأها من عيشة هادئة ساكنة مطمئنة.. تسير على ما أراده الله بإذن الله تعالى.. متماشية مع الشرع والعرف والعقل.. لا مخالفة فيها ولا مناقضة..

قالت: زوجي الكريم.. أعلنها أمامك صراحة.. أستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه.. أطلب منك المسامحة والعفو والصفح الجميل.. ما أحلمك وما أحكمك وما أجمل خلقك يا زوجي..!

قلت: لا تثريب عليك اليوم يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين..

وكتبها

أبوجعفر

محمد يوسف أهلي

١١ \ ٢ \ ٢٠١٠م

---

[1] رواه البخاري.

[2] قال المنذري: رواه النسائي والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.